

الحرية علّة المارونية وشهادتها

د. سمير الخوري

الحرية علّة المارونية

مهما كان تصدير الحروف الأرامية السريانية الثلاث: م، ر، ن، مطلع الكلام والكتابات، وأياً كان تداول أسماء مصادرها الرائجة مثل: مارون، مُورون، مَاران مُوران ومَرّوان، أو إقصارها على اشتقاق ألفاظ مختزلة لها، مثل: مار(ت)، مور(ت)، المعروفة باستباقها الدائم أسماء الأبرار القديسين - القديسات (مارشربل، مارت رفقاً...)، فإنها بمجملها، تحمل مشتركاً واحداً يجمعها، محوره معنى السيادة *souveraineté*، الخاصة بالكائن البشري السيّد *maitre, seigneur*، من حيث هو حرية وعقل وضمير وذاكرة وخيال في آن، والدالة على وجوب احترام كرامته الإنسانية، الغير مشروطة. إنها سيادة كيانية وجودية، يتفرد بها الإنسان دون سائر المخلوقات. بها يحاكي كرامة خالقه، لكونه خلق على صورته كمثاله. كرامته هي من كرامة الله، لأنه شخص بشري [اي علاقة مع آخرين] كما الثالوث [الأب والإبن والروح القدس] هم ثلاثة أشخاص في طبيعة الهيئة واحدة. تستدعي كرامة الإنسان الإحترام الكلي له إحتراماً يليق بسيادته التامة، تلك التي تلازمه مهما كانت الإعتبارات الأفهومية التي تطاله: أكان ذلك بإعتباره شخصاً *personne* ذي علاقة مع آخرين، أو كان ذاتاً *sujet* صاحب حقوق - واجبات تجاه الآخرين، أو كان فرداً *individu* متميزاً عن الجماعة، وهو عضو فيها. إنه سيد، ويبقى سيّداً أبداً. سيادته هي صنو حرّيته للتحكم بمساره والسيطرة على مسيرته وصنع مصيره [راجع "المسيح يسوع كلي الإحترام لكرامة كل إنسان". المشرق ٢٠١٣. ص. ٥٠٣-٥٤٣]. بمرجعية السيادة هذه، تدان العبودية والإسترقاق وكل مشتقاتها المذلة. مارون هو اسم

جنس عام، وقد تحوّل اسم علم مخصوص. لا فرق هنا إن كان الإسم يعني، معجمياً، "السيد"، تمثلاً لهوية الشخص السيديّة، وتشبهاً بمقام ذوي الشأن، أو يعني قواعدياً، "السيد الصغير"، تمييزاً له عنه أو تحبباً به، أو هُزأً منه. المهم أن اسم مارون يدل على السيادة والاستقلالية المشبعة بقيم الحرية الكيانية الشخصية. لذا، فالموارنة ليسوا من تبع مارون السيد واكتسبوا منه وتماهوا به، وحسب، بل هم هم الأسياد، طلاب الحرية وشهودها، على شاكلته وفي إثره، تحت كل سماء.

حول مارون، ناسك أفاميا، تحلّق جمّع من الراهبات والرهبان والمؤمنين، يعشقون يسوع في أثر ناسكهم. فاتّخذت أولى ثلاثة راهبات قديسات، تنسكن باكراً في متّحد مارون *communauté*، التعددي الأنطاكي، أسماء تحمل، نبويّاً، نفس معنى السيادة والحرية والكرامة، هنّ، بحسب ما يذكره التقليد الكنسي: القديسة مارانا (مرّناً نسبة الى مارون، في الآرامية)، والقديسة كيريا (نسبة الى كيربوس *kúrios*، في اليونانية، ومنها لفظة خوري إشارة الى السيد الكاهن)، والقديسة دومينيا (نسبة الى *dominus*، في اللاتينية)، وهي اللغات الثلاث، السائدة عصر ذاك، والتي كتب بيبلاطس بها عنوان لوحة الحكم بالصلب على يسوع (يو ١٩/٢٠)، لكأن الحكم اياه، سوف يلاحق، مدى التاريخ، شعب قرابة يسوع الآرامية السريانية، لتعلقهم بمعشوقهم الإلهي، ولحملهم معه، بالتالي، صليب التحرر الإنساني، ذاك المنغرس في شرف حملة ورع الحضارات وروعها المستولدة والمتفاعلة والمتعاقبة على المشرق. عُرف أهل "بيت مارون" بالموارنة. ولم يلبث أن تكشّفت لهم، منذ بدء تاريخ معاناتهم الطويل، أبعاد الحرية المُلهمة، التي تلمسوها عندما اعتنقوا روحانيّة مارون الخصبة، وعانقوا صليب الحرية الاقتدائي المحرر في المشرق، ومنه الى العالم [راجع "بطولة الثبات على القيم" مجلة المشرق ١٩٩٨ ص. ١٢٣-١٥٣]. وعوا هويتهم الكنسية، الخلقيدونية والإنطاكية، في إثر صدمة إستشهاد جمع كبير منهم، سنة ٥١٧. حتى بلغ بالحرية عشاقها، سنة ٢٠١٠-٢٠١١، الى فرح إحياء اليوبيل المئوي السادس عشر، لوفاة مارون، ذاك السكران بالحب الإلهي في فضاء حرية "العراء"، في الهواء الطلق. من جراء فهمهم المميز الفذّ للحرية الكيانية، الفردية والمتحدية، تفرّد الموارنة، دون سائر المسيحيين، بملامح عشرة أساسية إمتازت

بها كنيستهم، بوجهها الروحي الديني البيعي أي "الموراني"، من جهة، وبوجهها الإنساني المدني الزمني أي "الماروني" من جهة ثانية. يجمع هذه الميزات مشترك اساسي واحد، هو الحرية، التي تربط بينها بإحكام قيمي، الميزات العشر هي:

١. **كنيسة رهبانية.** من خصب حياة رهبانيتهم الروحية، ومن زخم ورع نضارتها النسكية، وإنجذاب المؤمنين المسيحيين إليها وتكوكبهم حولها، تولدت الكنيسة المارونية، سنة ٦٨٥، لملء فراغ مؤسسي طال أمده في بطريركية انطاكية، أولى الكراسي الرسولية الخمس المنثورة على شطآن البحر المتوسط...، بالمقابل، تتولد سائر الرهبانيات، عبر التاريخ الكنسي المحلي والعالمي، من خصب حياة كنائسها.

٢. **كنيسة سيده حرة مستقلة.** إنطلقت الكنيسة المارونية ببطريركيته الإنطاكية، في جسم الكنيسة الجامعة، وهي على علاقة شوتفة communion إيمانية وشركة روحية، إستمرت ثابتة مدى الدهور، بخليفة هامة الرسل أسقف روما، متحررة بذلك حقوقياً وهيبرركياً وليتورجياً، من السلطة الملكية البيزنطية ومن هيمنتها السياسية *monocratie*، ومستقلة نظامياً وإدارياً وإنتخابياً عن السلطة الخليفة الإسلامية وعن طغيان شريعته *nomocratie*...، فيما عرفت، بالمقابل، سائر الكنائس تدخلت في شؤونها، وإملأت إستمرت بين مد وجزر، ما بين سلطتها الدينية وتلك الزمنية المحلية

٣. **كنيسة مشروعية القرار الحر.** قامت الكنيسة المارونية، رغبة بالتملص من نظام هيمنة الملكية البيزنطية (انظر -٢-) ومن نظام سطوة الخلافة الإسلامية (انظر -٩-)، الطامعين، كل وفق مسوغاته، بإنتزاع القرار الحر عن الكنيسة المارونية. لم تنشأ المارونية من جراء النزاعات الكريستولوجية العقيدية، ولا كانت حصيلة تمسكها بهوية لغوية أو ليتورجية، أبت مرأى تذويبها القهري في الليتورجيات المسيطرة سلطوياً: بيزنطية كانت السيطرة في القرن الثامن، أم لاتينية لاحقة حتبداية العصور

الحديثة. بلسوغت بقرارها الحر مشروعية تحرر إستقلاليتها التنظيمية، المرافقة مع اصرارها العميق على البقاء بحالة شركة إيمانية مع خليفة بطرس "إيماني إيمتن بطرس وإيمان بطرس إيماني" تقول الصلاة الشعبية المارونية المتوارثة في صيغتها اللبنانية عن أعتق تقاليدها الأولى.

٤. **فكرة وطن الحرية.** أستنبط الموارنة فكرة الوطن، بركائزه الثلاثة، القيم والإنسان والأرض: أُونوا قيم الحرية، أنسوا أرض لبنان وأرتبطوا بمكوناته المجتمعية، برباط يحاكي "الزواج الماروني" محققين بذلك، لأول مرة في المشرق، طروحات "الوجود الوطني" *existence nationale* قاعدة اساسية واجبة "للحضور السياسي"، الفردي والمتحدي...، بينما، بالمقابل، تسعى سائر الكنائس والمذاهب والأديان، بفكرة هيمنات، دينية، امبراطورية الطابع، أو مملكية المنحى، سلطانية الإتجاه، طغيانية السلوكات، او عشائرية الإنتماء، وما شابهها

٥. **خبرة الله الشخصية على إسم قديسها القدوة.** تحمل الكنيسة المارونية اسم قديسها القدوة، مارون، كأنموزج مسيحي حي معيوش، هو شاهد "خبرة الله" فريدة، انها كنيسة على شاكلة مؤسسة رهبانية، [كما سوف تعرف مؤسسات الرهبنة الباسيلية، الأنطونيانية، الأوغوسطينية، البنديكتانية، الفرنسيسكانية...]، لا كأنموزج لأهوتي علامة، شبيهه معاصره وصديقه وأسقفه، يوحنا الذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧)...، ولا كفعل معاكسة عقيدية، ناقمة على الممارسات الكنيسة الكاثوليكية، كما سوف تكون عليه حال بروتستنتية لوثر (١٤٨٥-١٥٤٦)، او كفعل أعتناق معتقدات المعاكس المصلح كالفين (١٥٠٩-١٥٦٤) وإتباعه. بينما، بالمقابل، تُعرَف سائر كنائس العالم باسم لغات ثقافات ولتورجياتها، وطقوس بلدانها، أو بنمط تنظيمها الحضاري: كنيسة قبطية، كنيسة لاتينية، أرمنية، آشورية، يونانية، مالابارية...

٦. **رسولية حية جذابة.** إجتذب الموارنة الى إيمان كنيستهم، أمراء ووجهاء وجماعات وأفراداً، من كل المذاهب في المشرق [آل شهاب، آل ابي اللمع،

آل الحرفوش، آل عساف...]، وجذبوا صوب قطب فهمهم للحرية، مكونات المجتمع اللبناني المقاوم...، بينما، بالمقابل، أمم الأرض وشعوبها، تتحول، تدريجياً، الى دين ملوكها وحكامها، وتحل طوع بنان زعمائها وأمريها، سمعاً وطاعة ومصالحة

٧. **القلب المفتوح واليد الممدودة.** جمعت الكنيسة المارونية بنيتها بأخلاقية الحرية وبأدوات السلام وحسب، وواحدتهم "تحت جناحيها"، الكهنوتي والرهباني (متى ٢٣/٣٧)، في "شراكة الإيمان"، بإقناعية القيم الإنجيلية وحسب. إنها كنيسة رسالية لا جهادية، شهودية لا إشهادية، إحترامية لا تكفيرية، بشروية لا شرعية، التزامية لا الزامية، تشاركية collegiale لا إملائية، شعبية لا فوقية...، بينما رجال دين سائر الكنائس والأديان، بالمقابل، [راجع "القيادة في المؤسسة الدينية" المشرق ٢٠٠٦ ص. ٤٩-٦٩] لا يأنفون من الإستعانة بالزند الزمني المسلح، وبأدوات ممالك الأرض القهرية، الشرائعية و/أو العسكرية، لتطبيع أتباعها، أو لتطويع تباعا وأتباعا جدداً، بقوة العصا و/أو الجزرة.

٨. **المتحد الديني الواحد الغير منقسم.** شكل المواردنة معاً، مدى التاريخ، كنيسة واحدة موحّدة، غير منقسمة ولا متفرّعة ولا منشقة، رغم الاختلافات والمنازعات والمآزم الداخلية، ورغم الإضطهادات والمضايقات من الخارج، والعزلة تجاهه. يعتنق المواردنة إيديولوجيا الحرية الكيانية، ويتبعون بموجبها، إستراتيجيا السير معا بإتجاه واحد [وإن لم يحسنوا دوما إدارة هذا السير الديموقراطي السوي]، في مشرق يستثغ التماثل الإستنساخي التسيير بصف واحد أحد تأحيدي صهري. يخرج الماروني على كنيسته مفردا منفردا، ولا ينشق عنها جماعة ومجموعة لإنشاء فرقة دينية مبتدعة...، فيما، بالمقابل، أصاب كنائس العالم، وأديانه ومذاهبه، مساوءى المسارات التاريخية، المؤدية الى إنقسامات والى إنشقاقات وفرق متعددة، والى إفتراقات كشيع وبدع متنوعة، بل والى إنشطارات ثقافية سسياسية وجغرافية

٩. المتحد الكنسي الإنطاكي المشرقي الما بعد إسلامي. أنمى الموارد حبة خردل "إيمانهم البطرسي"، في إثر أبيهم الناسك مارون (٣٤٥-٤١٠) ورهبانه وعبادته، وأنضجوا شهادة خيارهم الخلقيدوني (٥١٧)، وأوثقوا إرتباطهم الكنسي بخليفة هامة الرسل الروماني (٦٨٥). فشكّلوا بذلك المتحد الكنسي الإنطاكي المشرقي، الوحيد، الذي قام تاريخياً، بعد بروز الإسلام، (دين الهجرة ٦٢٢)، وبعد تمدد فتوحاته العسكرية على ضفاف البحر المتوسط، بـ ٦٣ سنة. أحترم الموارد المسلمين وما تعرضوا لنبي الإسلام قط. رفضوا دوماً التبعية، وتمنعوا بإستمرار عن الحصول على "وثيقة، فرمان، سند، مستند..." شرعية إنتخابهم بطريركهم، ومشروعية إطلاق متحدهم الكنسي، من غير نواتهم [أنظر أعلاه ملحق ٢-] ... فيما، بالمقابل، قامت سائر الكنائس الرسولية والبطريركية، وإكتمل بناؤها، قبل ذلك التاريخ. وما لبث أن إصطدمت مجتمعات وإمبراطوريات أتباعها بجهاد المسلمين الفتحي المقدس *sacralisé* سقطت أربع أخماس كراسي بطريركياتهم [عدى كرسي روما] تحت سناك خيل الفتوحات الإسلامية. وفيما بعد أخضعت شرعية انتخاب بطاركهم لموافقة وإعتراف الخليفة-السلطان تحت طائلة البطلان والملاحقة... ثم راحت نخبهم الفكرية تستنطق صحة رسالة نبي الإسلام السماوية.

١٠. معطوبة اللاسلطان *fragilité de l'impouvoir*. لم تعرف الكنيسة المارونية يوماً، مجد المُلْك الدنيوي في تاريخها الطويل. حتى ولا "مُجيد *gloriole* صبيحة أحد الشعانين، تسير فيه، زاهية، على ظهر جحش ابن أتان (يو ١٤/٢١). إن أقصى ما بلغته الكنيسة المارونية، هو بعض من الإستقلالية الذاتية الملجومة، وكثير من السيادة المتحدية الطليقة، إنشئت على حرية عبادة إيمانية، تمت لها في وعورة جبل لبنان القاسية، بل وبفضل تلك الوعورة، الى حد كبير. ومؤشر ذلك إرتحال بطاركة الكنيسة المارونية، قسراً وإضطراباً، وتنقلهم ما بين ٢٤ ديراً، أسموه على إسم السيدة، مقراً بطريركياً، خلال ١٣٠٠ سنة، قبالة اقل من ثلاثة مقرات لكل من بطاركة الكنائس الإنطاكية، والبابلية والأورشليمية والإسكندرية...

وقبالة، مقرين إثنين لبايات روما خلال الفى سنة...، بينما، بالمقابل، تمّعت سائر الكنائس، شرقاً وغرباً، بمجد الممالك الدنيوية وتنعمت بعظمتها وغناها وسلطانها (متى ٨/٤)، ولو لفترة زمنية، وبعضها إستقر في الحضن الزمني وإرتاح الى الزند المدني، او جمع بين العرشين معاً.

١١. روحانية قضية الحرية. تنهد الكنيسة المارونية للتححرر، بتوتر مستدام، عبر عيشها سر ترقب إنبلاج نور الصباح العظيم. لشدة قسوة ضيقاتها وغلاظة مضايقاتها، بدت صلاتها الطقوسية مهمورة بصورة المسيح السيد المحرر، ومسكونة بالتوق الى لقياء، في الحرية، وبحرية "الهواء الطلق"...، بينما، بالمقابل، تعيش كنائس العالم، بإرتياح شبه مستقر ومستمر، إما تداعيات سر التجسد والملك، إما إمتدادات سر المجد والبهاء.

بعبرية روحية فذة، يقارب الأب ميشال الحايك، الروحانية الأرامية المارونية، بمقارنتها مع أختيها البيزنطية واللاتينية، في بحث نشره بالفرنسية في "معجم الروحانيات" (الجزء ١٠ عامود ٦٣١-٦٤٤ سنة ١٩٦٩). يمكن تلخيص خصائصه كما يعرضه الجدول -١-.

جدول ١- مقارنة روحانية الخبرة البيزنطية والآرامية واللاتينية بحسب
خصائص كل منها، لدى الأب ميشال الحايك

الروحية الخصائص	البيزنطية	الآرامية	اللاتينية
إنجاز تاريخي	- مدينة النصر الأخير - أمبراطورية ضابط الكل - عرش القائم من الموت	- لا مدينة سلطوية - لا مملكة زمنية - حجر مثوى الاموات	- مدينة ومدنية عظيمة - أمبراطورية على إسم الله - كرسي وصولجان الملك
الضراعة	- شروق شمس الأحد - حركة وقفة القيامة - خورس بهاء امبراطوري	- ظلمة عتمة السبت - حركة مطانية الجنين - صلاة يقظة الغسق	- دغوش غياب الجمعة - حركة ركوع التوبة - طلبه درب الصليب
الفاعل	- إنتصار المسيحيين - إنسحاب من التاريخ - ملاقات أورشليم السماوية	- إعتراض النسك - تأوين فشل يسوع الزمني - رجاء المجد الموعود	- أنتشار وريادة الفاتحين - سيطرة على التاريخ - تنعم بإنجازات وعمارات
الروحية	- عيش سر المجد - معمودية إكليل الغار - جموع تصفيق الشعانين - الزمن الفصحي	- سر الترقب والإنتظار - معمودية دموع التائبين - عزلة النزول الى الجحيم - الزمن الخلاصي	- عيش سر التجسد والألم - معمودية ماء المؤسسة - حشود مؤاساة الجمعة - الزمن التجسدي
التقوى	- روحانية الإحد الظافر - غبطة تذوق ما السماء - فعل ديني مُحَضَّر - نفوس ظافرة تنشد المجد	- روحانية السبت المعتم - مأساة إذافة ما الجحيم - فعل رهباني ضارع - نفوس رهينة تنهد للتحرر	- روحانية الجمعة الدامية - فاجعة تلمس ما الأرض - فعل إجتماعي مؤسس - نفوس جريحة تبني منجزات

١. الروحانية البيزنطية. لقد بنت بيزنطية أمبراطورية تحت راية ضابط الكل Pentocrator متبويء عرش ملك المجد، القائم من الموت. إنها تقف وقفة

القيامة، ملتحفة بالنور وبعظمة البهاء. تستطيع أن تنسحب من التاريخ، بعد سقوط القسطنطينية، لملاقاة أورشاليم السماوية. تعيش سر المجد، حاملة اكليل غار أحد الشعانين، مدى الأزمان. تغبطها روحانية الأحد الممهورة بنشوة تذوق ما للسماء، روحانية، تعلنها للعالم، نفوسٌ ظافرة، تنشد ترانيم المجد، وتتغنى بأنغام ضمانة الفوز النهيوي الأخير

٢. **الروحانية اللاتينية.** لقد بنت اللاتينية مدينة زمنية على إسم مدينة الله، وجلست على كرسي المُلْك، لا ينازها عليه أحد من غير بنيتها. إنها تركع ساجدة، في "وادي العذاب"، أمام "مسيح الجمعة العظيمة". تستطيع الانطلاق للسيطرة على العالم، وإيداع إنجازات تاريخية باهرة. تعيش ملء سر التجسد، متباهية بسجلات عماراتها الفكرية والعلمية الفنية، ومتشوفة بأجنداتها السياسية والإقتصادية والمدنية. تندفع بروحانية الجمعة الألمية، مضرجة بفاجعة التمرغ بما في لأرض، روحانية، تزفها للعالم، نفوسٌ جريحة مضطربة، تجري على يدها منجزات العلم والمعرفة، وتتباهى بضمانات نظمها الإجتماعية والثقافية والسياسية، بها تحصن مكتسباتها الحضارية.

٣. **الروحانية المارونية.** لم تبني الكنيسة الأرامية وبخاصة المارونية، لا أمبراطورية ولا مملكة ولا حتى أميرة، بل كان نصيبها من حطام الدنيا، مغاور نساكها وناسكاتها، وصوامع حبيساتها وحبسائها، وقلايات راهباتها ورهبانها، وأديار عابديتها وعبادها، وبيوت بنيتها الريفية، وحجارة تربة مئوى أمواتها. إنها تؤثر حركة المطانية metanie الرهبانية التي تستبطن عبقريتها لتغذي منها. بها تتلوى كالجنين، في صلاتها التفجعية المأسوية. ومنها تطلق صلواتها الرجائية الناهدة الى الأتقى والأبقى. تحيا بالحب دهرها كله، أسبوع الأم طويل، مصبوغ بدمع الفرح الروحي. تغوص مع المسيح الى "الشيول" الى الجحيم، ما بين فجر السبت العظيم، وما قبل طلوع نور القيامة. إنها تقيم بين مسائين. إنها تمثل إعتراض النسك، في تأوين فشل يسوع الزمني، تجلوه للملاء بحملها رجاء المجد الموعد. إنها تعيش، في أديرتها ودورها وديارها، بخبر الأنفس الأنيقة، سرّ السهر والترقب والإنتظار، كما في معمودية دموع التائبين. تحدها روحانية

السبت المغتَم المُعتَم، المشبع بمأساة تذوق طعم هوان الجحيم، حيث إنحدر المسيح، بحسب تعبير "قانون إيمانها". بمعاناتها الدهرية، تشهد للقائم من الموت، في العالم، نفوسُ أيامي، تنهد للتحرر ولتحرير الآخرين، وتتماهى identification بفعل رهباني ونسكي، صببٌ ولوهٍ بالمعشوق الإلهي، وثوقٌ به، ضارعٌ إليه، يشهد له بفرح "الواقعية الروحية"، ويصبو الى "مورانانا"، تعال ايها الرب يسوع، أيها الحبيب الإلهي، خاتمة بابتهالها هذا، بأخر صرخة تضرع رجائي، ورد في إنجيل العهد الجديد (رؤيا ٢٠/٢٢).

جدول ٢- مقارنة الروحانية الفصحية والألمية بحسب خصائص كل منهما

الألمية Doloriste	الفصحية Pascale	الروحانية الخصائص
<ul style="list-style-type: none"> - تحمل العذاب الحزن الإماتة - تجبر على النزف في الألم - توجع ذاتي صوب السادية - إنكالية تشاؤم إنسان خارجاني <p style="text-align: center;">Externalité</p>	<ul style="list-style-type: none"> - حمل الفرحة الأمانة التضحية - تصميم على الثبات في القيمة - تشاهق إرادة حرة صوب القيامة - التزامية تأجيب إنسان داخلاني <p style="text-align: center;">Internalité</p>	الماهية
<ul style="list-style-type: none"> - ملمح لعنة وقدر مكتوب وموت - إنقباض نذب ورثاء مصير - إنغلاق على ضيق الأنا الفردية - تضرع لنيل بركة رضى السماء 	<ul style="list-style-type: none"> - علامة نعمة وخلص وحياة - إنفراج تسامي وترقي روحي - إنفتاح لإستضافة النحن المجتمعية - إستنهاض للتحوّل الى حالة فضلى 	الطابع
<ul style="list-style-type: none"> - قعود تذبذب وتعجز ذاتي - طمع الأنا بإستعادة نصاعة البدء - ثقافة جنازيات الحزن وأسلفيات - تماثل بتعذيب العظماء وجلجلة يسوع - ممارسة جماهيرية في كل التدينات [ميزة الألمية: جلد ذاتي إسترضائي، أو إنتقامي تدميري بالغير] 	<ul style="list-style-type: none"> - عبور تحرر ونضوج إنساني - موت عن الأنا، للإتواجد في الله - ثقافة البهجة والسعادة والمستقبلات - تماهى بيسوع غالب الموت بالحب - ليست حكرًا على المسيحيين [فرادة المسيحية: الفصحية عبور الى قيامة يسوع] 	البنية

<ul style="list-style-type: none"> - مسيحية تقويات قصاص الذات - إرتياب وتباكي نحيب بوجع الوجود - فعل تأؤه وإكتئاب ومناحة - عقلية رضى وإستسلام للمكتوب - سلوك إنهزامية وإستدامية 	<ul style="list-style-type: none"> - مسيحية روحية إلهامية - ترنيم ثقة بالذات وبيبر الله الأب - فعل شكران وسكينة رجاء - ذهنية نبوية الحب والإيمان - سلوك مقايمة ومقاومة <p>Résilience Resistance</p>	<p>المنحى</p>
<ul style="list-style-type: none"> - فعل إنهزام أمام الفشل والأحداث - إستبكانية أخلاقية تأنيبية للآخرين - إستكانة تقليد جمود وتحجير - إماتة قهر ذات من أجل تطمين الأنا 	<ul style="list-style-type: none"> - فعل نضال ومواجهة ومقاومة - رسولية إحترامية إشراكية للآخرين - إندفاع إبداع تجديد وتطوير - تجرد تضحية لفرح خدمة غيرية 	<p>السلوك</p>

فيما تمتاز الروحانية البيزنطية، بعيش الحرية المسيحية، بهناء جواني متضع سكوت، يعشعش في قلب المؤمنين، قانتي "**الزمن الفصحي**"، وفيما تتميز الروحانية اللاتينية، بعيش الحرية نفسها، بصفاء خارجي طليق ضجاج لعوب طروب، لدى مؤمنيتها، مسرّعي "**الزمن التجسدي**"، ينسحب على إمتداد منجزاتهم العمرانية، بمقابل هذه وتلك، تحمل الروحانية السريانية المارونية، إمتياز عيش الحرية إياها، بعناء إنساني مضن، وبفناء وجودي محتشم، يحياه بنوها، على إمتداد "**الزمن الخلاصي**"، ويحيونه عبر تمدد جراحه، في وجدانهم، وعلى أجسامهم (يو ٢٠/٢٧)، كما وعلى عمران حواضرهم وبلداتهم وحقولهم. ليست الروحانية المارونية روحانية ألمية، ولا هي روحانية التحرر من الألم والخلاص منه (رغم الزج في طقوس عبادتها، بزياح "درب الصليب" التلوعي، الخالي من القيمة الخلاصية، والملتنن مضموناً)، بل إنها روحانية فصحية (أنظر جدول ٢-٢)، روحانية فرح التحرر بالألم والخلاص فيه، بقوة الحب الذي تدنّخره، تماهيا بالحبيب الإلهي، وتعلقاً به.

الروحانية الألمية، تدفع صاحبها لتحمل العذاب بتجبر مازوشي لجلد الذات. يستعجز نفسه. يتنعجن بعقلية إستضحاوية victimisation. يسعى بمنطق

جنائزي، فاجعي السمة. يرتاح لمسيحانية تقوية إستبكاثية سخيصة طمعا برضوان معبود سادي ظن أنه أبا يسوع. إنه إنسان خارجاني إتكالي إحتماي

الروحانية الفصحية، ترفع صاحبها حمل الأمه بفرح، ولروحنتها بإيمان مسيحي راشد ناضج. يتشاهق الى القيامة. يستتهض الآخرين بروح المغفرة والوثوق المحب، لحمل صليب الثبات على قيم الحب في الشهادة المسيحية. يتماهى بيسوع غالب الموت بقوة الحب. يلتزم بمسيحانية الهامية رسولية إحترامية، إنه إنسان داخلاني يؤمن بذاته إيمانه بالحب الثالوثي، وبأن الأب السماوي ، يرجو منه يؤمن به ويحبه

من عمق روحانية "سبت النور" المعتتم، وبقوة رجاء انبلاج النور المرتقب، أدرك الموارنة أن الرجاء المسيحي، هو الإيمان الحي بان هناك، حب الهي مشخصن، عنه صدرنا، له ملء الرجاء في كل إنسان، الإنسان الفعلي الحر. راح الأنقياء والأنتقياء والأنبياء من الموارنة، إكليريكيين وعلمانيين، يُخَمَّرُون عجين الشرق بقيم الحرية، وما زالوا. أما من أرهبتهم الرسالة المحضرة civilisatrice هذه، لمشقتها ولشقاوتهم، فهؤلاء، راحوا يرسبون تباعاً، في الشهادة للحق (يو ٣٧/١٨) بالأمس واليوم، ويسقطون في امتحان التاريخ، حتى يصيح الديك في زمن الضمائر(مر ١٤/٧٢)، وإلا، فوحتى قيام الساعة.

١ - المارونية، بيرقدار الحرية.

ليست الحرية شبكة قراءة صحيحة لمطالعة تاريخ المارونية (الوجه الاجتماعي السياسي) والموارنية (الوجه الاجتماعي الديني) وحسب، بل هي ما يعطي لهذا التاريخ معناه. بدون الحرية الكيانية، تفرغ المارونية من جوهرها، فنبتت وتنطف وتزول. فحيثما الحرية، هناك المارونية حقاً. وحيثما المارونية، هناك تنشتل الحرية معها حتماً. اتخذ الموارنة من الحرية قاعدة هويتهم. ابتنوا بموجبها متن عباداتهم مع الله الثالث: أنشدوا عشقهم للحبيب الإلهي، تحت عنوان المسيح المحرر (تو ١٨/٤). قبلوا الإين، آمنوا به، حررهم إذ اولاهم أن يصيروا أبناء الله أحرارا (يو ١٢/٤). أدركوا روعة بنوتهم للأب في ابنه يسوع

بالكنيسة، فمجدوا الأب الذي حررهم، بحبه الأبوي المتضامن مع ابنه المصلوب، من الخوف منه، بل حررهم من الخوف من أي أمر (روم ١٥/٨). في مشرق كان وما زال يخاف من الله، إله الجند والصاباوت، سقط الخوف عنهم مذ آمنوا بالأب الحب. عرفوا أن ليس هناك، في الكون، ما ومن يخيف، بل هناك من يخاف فيجبن ويرتد فينحل ويتحلل. شكروا الروح القدس، الذي احيا شجاعتهم الأدبية وشحن إيمانهم بالطاقة الروحية *énergétiser* فحررهم من ذلة الإنكفا، ومن مذلة الجبانة، ومن إذلال الخنوع، وذل الركوع. إستنهضهم (روم ٢١/٨)، للشهادة، بجسارة الأنبياء، لمسيح إيمانهم، امام المتربعين على كراسي الطغيان والأصوليات، أو القابعين في ظلمة التكفيريات وظلامية السلفيات. حسبهم أنهم عرفوا أن المسيحي، هو ذلك الذي يؤمن بأن الله يحب الإنسان أولاً، حباً غير مشروط. صاغوا من الحرية شعاع معاملاتهم مع الناس. وحاكوا منها إيدولوجية ترسلهم الروحي، وأساطير تعنترهم الزمنى... وها هم، بمرجعية الحرية إياها، يجيرون ولا يجورون. بمعلمها يُبررون خياراتهم الكبرى، يسيرون باتجاه واحد لا بصف واحد، ويتنازعون فيما بينهم، تاكيدا على حرية كل منهم، وبرهاناً، في الوقت نفسه، على فشلهم في حسن إدارة تعددياتهم، كل مرة كانوا فيها تافهين مغفلين. يهؤون التلاقي الإنساني في عجنة الشرق الشعبوية التعددية، بدافع من ايمانهم الثالوثي، اي ايمانهم بالوحدة في التعددية، وتعلقهم بالمساواة في المغايرة، وحرصهم على المتبادلية في التعامل... وتراهم بموجب الحرية إياها، يقاومون الانصهار والذوبان، ويناهضون التسطيح والتأحيد، لئلا تضيع هويتهم، من جهة، ويرفضون الانفراد والانغلاق، وينفرون من الإنسحاب والاعتزال، لئلا ينتفي ترسلهم من جهة ثانية. إنهم حملة رسالة لا سعاة تحنيط. انهم شهود قيامة لا حراس قبر فارغ. يؤمن الموانة الأقاح، بأنه حيثما الروح فهناك الحرية. لذلك إندفع الموارنة بفعل الروح، مذ عرفوا، أن الحرية هي علتهم وهواهم، إنها رسالتهم ووطنهم، إنها شهادتهم الثقافية لتسييد الإنسان، ولمساعدته وإسعاده، أنى حل هذا الإنسان، وحيثما كان، في لبنان والمشرق والعالم

١,١ - حرية التعبير: حق الفردية.

لم يرد في مشروع مارون، أن يكون مؤسساً، لأي مشروع: لا لأخوية، أو لجماعة رهبانية، ولا لجماعة كنسية. بل عاش في عراء الهواء الطلق anaeros bios، كما وصفه تاودوريطس القورشي. يعشق، بقوة الروح، الأب في ابنه يسوع، ويشهد، بحبه الناس، لصدق عشقه هذا. إفتتن بعضهم (ن) به (سنة ٤١٠)، فجئوا مثله طالبين حرية الحرية، في "العراء": حرية في العبادة عامودياً، مع الثالوث، وفي المعاملة أفقياً، مع الناس. حرية لا تقيدها حروف الناموس مهما كانت مقدسة، ولا تخنقها جدران العمارات مهما كانت باهرة. بسبب حرية التعبير، الدالة على حق الفردية، عاكس المواردنة منحى "النخ" والتذلل والتسطيح، ومسرى التطبيع والتنميط والتسيير، المعشعش في ذهنيات عناترة الشرق وزيرائه، منذ بني القسطنطينية وبني أمية في امبراطوريات الأمس، إلى منظومات العربنة والمصرنة والسريانة والوهبنة، في مونوقراطيات اليوم. "قطيع صغير"، هم؟! لا بأس، أقلية عددية هم، في منطق مشرقى يهاب/ يعتد بالأكثريات "الساحقة" طبق "الواقعية السياسية؟! وما هم. حسبهم أنهم متحد إيمان، طبق يقين "الواقعية القيمية"، ["ثقوا، انا غلبت العالم" (يو٨/٣٣) بالحب، اي باخلاقية الحرية]، المواردنة وقيم الحرية أكثرية. إثمهم، أن "إسمهم" خُط بنجيع صليب الحرية، وبه إصطبغ "كسمهم" المؤسسي، ووسم "رسمهم" الرمزي [راجع "بطولة الثبات على القيم" مجلة المشرق ١٩٩٨ ص. ١٢٣-١٥٣]. وحده بطريركهم، بين قادة المتحذات الدينية، وبخاصة بين كنائس المشرق، لم يقبل يوماً، عبر تاريخ جلجلة بنيه في الشرق، بفرمان أمبراطوري أو سلطاني، يعترف له بصحة تسلمه مهام عصا رئاسته الكنسية المارونية الإنطاكية، ويثبته فيها [أنظر أعلاه فصل -١- ميزة -٨-]. حسبه في ذلك، درع "الباليوم" الأخوي، تعبيراً عن "الشوتفة الأيمانية"، أي الشركة في الإيمان، والتواحد النظامي مع الحبر الروماني، المتقدم في الرعاية. تلك كانت علاقتهم بروما، أو ما كان يتوقع لها أن تكون، وأن تبقى. إعتصم المواردنة في جبال لبنان وفي وعورة تضاريسه. لجأوا الى المغاور والكهوف، يصارعون قساوة الطبيعة، ويواجهون غلاظة الطامعين بهم، كل ذلك من أجل أن تسلم لهم الحرية، إن هم أُعِدِّموا الحياة

ورخاءها، ليقيموا القربان بحرية، وبحرية يشهدون للحب الإلهي المحرر. تعبر
صلاتهم الشعبية، التي تناقلتها الأجيال، [نقلا لربما، عن السريانية، لغتهم
الأولى؟!]، عن تقاليد صلواتهم ذات النمط الرهباني، في الليل والنهار، من جهة،
وتعبر، من جهة ثانية، عن رَجْع معاناتهم الدهرية، في مقاومتهم المزدوجة،
لعناصر الطبيعة، ولعدائية جيرانهم والطامعين بهم كما يبينه الجدول-٣:-

" يا رب

لا تموتني، لا حريق

ولا غريق

ولا مشرحت ع الطريق

لكن قربانة طرية

وموتة هنية

وراسي ع فراشي

والعدرا فوق راسي

يا عدرا

يا أم النور

يا شَعَالَة البخور

عطيني من كتابك مزمور

ت صلي سبع مرات بالليل

وسبع مرات بالنهار

وإخلص من عذاب النار..."

جدول - ٣- سيمائية مدلولات الأحداث في صلاة المواردنة الشعبية
المتعلقة بـ "الأخرة الصالحة"

تاريخي		طبيعي - جغرافي	مدلول حدث
حدثان التاريخ	إجتماع- سياسي		موت مكروه
إغراق المعتصمين في عاصي حوقا ١٢٨٣، وعاصي الحدث ١٢٩٠، ...	- إغراق، جرف في السيول، رمي في الأنهر، إعدام بالتعير في البرك والأبار والبحر	- فياضانات، سيول طوفانات، غمر مياه أمطار، جرف مواشي ومزروعات	موت الغريق
حرق دير مارمارون ٦٩٤، ٧٣٢، ٩٦٤، محرقة البطريرك جبرائيل حولا ١٣٦٧، حرق دير قنوبين وبيوت شركائه ١٤٣٠ حرائق إنتقامية، تاديبية ١٠٠٩، ١٩٨٠، ...	- محرقة أشخاص، حرق أديرة وبيوت ومغاور، إشعال حقول ومزروعات	- محل، قحط، جذب، جفاف، بياس، تصحّر جراد، مجاعة	موت الحريق
تتكيل بالبطريك لوقا البهراي ١٢٨٢، إعدام ابوكرم الحدثي بالكلا ب ١٦٤٢ تهجير ومجازر جماعية ٥١٧، ٦٩٤، ٧٥٩، ١٢٦٥، ١٣٠٦، ... ١٨٤٠، ١٨٦٠، ١٩٧٥-١٩٩٠، ...	- تهجير، مطاردة، سحل هدم، غزو ترهيب للإخلاء والهرب، سبي سخرة،	- حراك، إرتحال، إتلاف بالجراد، ترك، تجوال، تنقل، سفر	موت على الطريق

١، ٢ - حرية التفكير: حق المغايرة.

إن أبرز ما في الوجدان التاريخي لدى المواردنة هو، التأكيد على هويتهم الذاتية، وتعشقهم الحرية وقيمها المجتمعية، وأهمها حرية التفكير الدالة على حق

المغايرة، وعلى قيمة التعدديات على كل صعيد إنساني. إنهم نقيض كل تسطيح وكل تأحيد، وكل أجدانيات mono. لذا كانوا، موضوعياً، بحالة صدام مع النهج الإجداني إياه، بالأمس واليوم: فهُدِرَت دماؤهم، وهُدِمَت ديارهم، ودَغَّت أديارهم على يد اتباع أُحَدِيَةِ الطَّبِيعَةِ monophysisme في المسيح، وأُحَدِيَةِ المَشِيئَةِ monothélisme، بمحرقة ٣٥٠ شخصاً من الرهبان والراهبات والمؤمنين الموارنة سنة ٥١٧. وأحدنة الطقوس بيزنطياً، ويوننتها monoliturgisme... أما في الأزمنة الحديثة، فمزالوا يُماتون على يد تباع أُحَدِنَةُ الثقافة mono culturalisme، ويُخَوَّنون لمعارضتهم أحدنة اللغة ولتعريب كل شيء monolinguisme، ويُعْتَفَنون لمقاومتهم الأجدنة الحزبية monopartisme، وأحدنة السلطة السياسية monocratism، ما بين الطوائف، وداخل كل طائفة، في لبنان وفي محيطه. يرفض الموارنة ويقاومون، كل أنواع الأجدنات الصببانية، التي تُبقي أبناء الشرق بحالة قصور ورضاعة على أكثر من صعيد. إنهم وجدانيون لا إجدانيون، بدليل بقائهم، مدى التاريخ، كنيسة واحدة، فيما سائر الكنائس تنفرع الى عدة تشكيلات كنسية. إن مقاومة الأجدنة ورفض التبعية والإصطفافات والصف الواحد والتمرد على القهر والظلم، هو مصدر الحرية وتعبيرها ودافعها وملهمها. هناك مسوغات اساسية ثلاث لموقفهم الرفضي الحاسم هذا، هي:

١- سبب لا هوتي، قوامه أن المسيحية، كما فهمها وإختبرها الموارنة، هي إيمان بثالوث أشخاص متساوين في الجوهر، لهم الطبيعة الإلهية ذاتها، (على عكس ما طلع به آريوس ٢٥٦-٣٣٦). المسيحية هي وجدانية ثالوث اشخاص في إجدانية طبيعة الهية. هي ديانة توحيدية uni théisme تؤمن بوجدانية الأب والإبن والروح القدس. كذا ينص قانون الإيمان النيقاوي على "تؤمن بالله واحد" [credo in Unum Deum] لا بالله أحد، اي ليس، [Deum credo in monum] (أنظر جدول -٤-). فيما الديانات التآحيدية monotheisme تؤمن بكيان الهى أحد أو بطبيعة الهية أجدانية، لا بشخص الهى، كما هي حال اليهودية والإسلام، "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوء أحد" (سورة الإخلاص ١١٢/٤).

جدول ٤- مقارنة الديانات بحسب تصورها الألوهة،
بمنظار كمي أو علانقي

العلاقة	العديّة		منظار
وحدانية الله Uni théisme	إحدانية الله Monothéisme	كثرة آلهة Polythéisme	الألوهة
<ul style="list-style-type: none"> - الله ثالث أشخاص - متساوين في الجوهر - علاقة : * متبادلية حب ثلاثي * دفق حب للخلائق * عناية الهامية - طبيعة الهية واحدة - نؤمن بأشخاص الثالث الأب والإبن والروح القدس 	<ul style="list-style-type: none"> - الله كيان أحد مفرد - ليس لله كفؤ أحد - لا علاقة ولاشريك لله: * ذات الهية وليس شخص * سلطة خلق وتكليف * عناية تدبيرية - عزة الهية صمد - نؤمن بكيان إلهي أحد 	<ul style="list-style-type: none"> - عدد من الآلهة - تكاثر بالإستبدال - إرتباط دون علاقة: * صراعات الهية * تلاعب بالأقدار * رسوم قدرية - صنيعه تفوق البشر - نؤمن بقدرة الآلهة 	مقومات
المسيحية	"اليهودية"، الإسلام، الآريوسية	ديانات طبيعانية	ديانة

٢- سبب تاريخي، مفاده أن الموارد تآثروا، منذ البدء، بتعددية البيئة الأنطاكية، مرجعهم الديني اللاهوتي والتنظيمي المؤسسي. هي تعددية لغوية وعرقية وثقافية دينية وليتورجية، إمتشقوها وتبنوها، مدى تاريخهم، كفعل تلاقٍ حضاري وكمورد غنى أنسانوي (جدول ٢-)، منذ "بستان زيتون" قورش، والمدن والقرى الماية والعشرين والإديار السبع والتسعين، المهدمة بين حلب وإنطاكية في القرن السابع، الى ديرهم مار مارون الذي دك على ضفاف العاصي في أفاميا، فالى جبل إختبار الإيمان في لبنان، جبل أرز الرب، حتى بلوغهم فيه أعلى قمم المشرق المسماة قرنة السوداء، وهي أعلى قمة في المشرق [وهي تسمية منحولة، لكن فيها اللسان العربي، وإنحرف بها عن

مخارج لفظها السرياني الأصلي: "قرنو دسُهديه" قرناً دسُوداً أي قرن الشهود أو قمة الشهداء (إرتفاع ٣٠٩٣ م.) وهي الإمتداد الجغرافي العامودي المباشر لوادي قاديشا السحيق [فارق الإرتفاع بين الوادي والقرنة، يعادل ٢٤٥٣ م.]، وقد إنتشر الرهبان الموارنة في كل من مغاور الوادي القديسين، وفي عراء قمة الشهداء، وتوطن الشعب الماروني ما بين القمة العالية والوادي العميق]، ومنه إنطلقوا الى عالم الإنتشار. وهكذا بدا الموارنة تعددين، وهم في الأصل، عجنة شعوبية، يتقنون عدد من اللغات، يتواصلون مع ما أمكن من البلدان والشعوب، وهذا ما يفسر، إلى حد كبير، قيامهم مع أنسابهم السريان، بحركة أبجدية الترجمة الى العربية في القرن الثامن، ومن ثم، بحركة أبجدية التذهين المسماة النهضة العربية في القرن التاسع عشر. الى حركة أبجدية التحرر الإجتماعي الوطني في القرن العشرين. تعبر كل من حركة الترجمة والنهضة والتحرر هذه، عن التصميم إياه، في إندفاعه الى تحرير الفكر المشرقي والعربي من خنقة الجهل ومن خناق الإنحطاط ومن إختناق التبعية...

٣- سبب إجتماعي، قوامه أن الموارنة، حيثما حلوا، أنشأوا حالة إختلاط إنساني، تعددية الطابع والهوى والرأي، يستثيغونها ويعتمدونها في البيت، والقرية، والبلدة، والمدينة، ومثله حتى، في بناء كنائس وأديار متعددة في القرية الواحدة، وفي إنشاء عدة احزاب في الرقعة الجغرافية إياها. بتعددياتهم هذه، يnehدون، بشكل أو بآخر، الى الديموقراطية الناظمة لترتيبات معقلنة في مجتمع تعددي. أنهم توافقون إلى نشر ثقافة الذهنية الإنسانية، المترافقة مع الديموقراطية، بها يقارعون ظفرية الذهنيات التعصبية، المتشرقة في منظومة المونوقراطية التأحيذية (جدول ٥-).

١- الذهنية التعصبية. تمتاز الذهنية التعصبية، بكونها ذات نظام فكري عقيدي، يعصى الإختراقات. هنا لا معنى للحوار والتفاوض والتسويات. يشرعن المتعصب عدائته بالأصولية. ويقدمونها بالإطلاقية المصنمة في حركة إثنيية قاطعة dichotomisation, absolutisation. يخدر ضميره الأدبي بطيبة

خاطر. يندفع للقتال وللقتل في سبيل الله، بغيرة عمياء باردة، وبه يقين مطبق بالنصر الإلهي. يعيش حالة ذوبانية في جماهيرية الرأي. يُخَوِّن الرأي الآخر ويأبلس صاحبه. يلذ له إخضاع المغايرين لعقيده بل وسحقهم دون رحمة. يكفرهم لشر عنة نحرهم بإسم معبوداته الممطلقة...

جدول - ٥- مقارنة الذهنية التعصبية والانسانية بحسب خصائص كل منها

الانسانية Humaniste	التعصبية Fanatique	الذهنية الخصائص
<ul style="list-style-type: none"> - فكر متحرك متفهم استقبالي - نظام فكري نشيط منفعل بالوقائع - احتمالات عدة، تخصيص حصري - استدرار الحوار والنقاش <i>flexibilité</i> 	<ul style="list-style-type: none"> - فكر جامد متحجر فتوي - نظام فكري يعصى الاختراقات - ثنائية إثنية، تعميم قاطع - صعوبة النقاش والمجادلة <i>Imperméabilité</i> 	الفكر
<ul style="list-style-type: none"> - معنية مدركة والتزام حر - نضال في سبيل الانسان الحي - سعي حثيث الى الترقى معا 	<ul style="list-style-type: none"> - تمحور السلوكات و تشرنقها - قتال في سبيل المطلق المعبود - يقين مطبق بالنصر الماحق 	الفعل
<ul style="list-style-type: none"> - فرادة الرأي وتواصل مع الآخر - تقدير فعلي للراي الآخر - اغناء شخصية الانساني - مصالحات لتحقيق الذات معا 	<ul style="list-style-type: none"> - انصهار في جماهيرية الرأي - تنفيه مبدئي جاهز للراي الآخر - امحاء شخصية المتعصب - لانساو، لانسامح، لا تصافح، 	التعامل
<ul style="list-style-type: none"> - رهافة الضمير الحي - معتدي احد حقائق المطلق - الدين والنظام والمعتقد للانسان <i>souplesse, plasticité</i> 	<ul style="list-style-type: none"> - تخدر الضمير الادبي - عقيدتي هي الحقيقة المطلقة - الانسان للدين للنظام للعقيدة <i>rigidité, cristallisation</i> 	الوجدان

٢- **الذهنية الأنسانية.** تمتاز الذهنية الإنسانية، بكونها ذات نظام فكري متفهم منفعل بالواقع. الحوار والنقاش هو القاعدة. يندفع الإنسان للنضال في سبيل الإنسان، سعي الى الترقى الحضاري معا. يعيش فرادة الرأي الحر في

تواصله مع الآخر، يستدر المصالحات من أجل تحقيق الذات معاً. تسهل له رهافة ضميره، إحترام الآخر وصور كرامته، والبقاء بحالة جهوزية لملاقاته، والثوق به، وبناء مساحات عامة مشتركة للنماء معاً في مناخ ديموقراطي تشاركي واضح المعالم طبق مقولة حقوق الإنسان ...

إجتهد الموارنة للحفاظ على منطلقات الذهنية الإنسانية، حية في وجدانهم الجمعي، وبها يُقَوِّمون إنجازاتهم الاجتماعية على كل صعيد، وبخاصة متى اشتدت عليهم الأزمات، ومتى نزلت بهم سيول العصبية الدينية والسياسية المجاورة، تكرههم على مقارعتها بخسة سلاحها، أي بإستبدال إنسانويتهم بتعصبية مستعديهم، بل وبأمتشاق حقارة تكفرياتهم... فإن اعمت الضيقات صدورهم ووقعوا في التجربة اللإنسانية المرة، إذ ذاك، يتطلعون صوب "صليب الحرية"، ويشربون من كأس إفتدائيتها، رحيق المقاومة الأدبية، ودواء المنعة المسيحية الإنسانية، بعدها، يقرعون صدور التوبة، يستغفرون الله المحبة ويعتذرون من إخوانهم، وبذلك، يرتدون إلى أصلتهم. هذا ما يفسر، بدرجة عالية من الصحة، لما يسير الموارنة بإتجاه واحد لا بصف واحد، بل ويجتهدون للسير معاً، "سينودساً" جامعاً، ينطلقون فيه بسرعة واحدة، بإتجاه واحد، بتزامن فكري وقيمي واحد، وبمعاصرة مكانية واحدة، بالرغم من صعوبة التصميم ومن عثرات الإنجاز، بل ومن ضعف نفوس بعض القيادات من المردة والمقدمين والقوات او المشايخ.... يعبر السير هذا، عن حرص المارونية على التعددية، ويختزن منطلقات الديموقراطية المجتمعية.

ما من قضية إلا وتمايز فيها الموارنة، بدافع مقاومة التسطيح والإنصهار، ورفض العزل والإنعزال، حرصاً على إثبات الحق بالمغايرة، وبالمساواة في المغايرة. يتقنون التمييز بين تغيير الموقف وتغيير المبدأ. يطلقون صوت تبرمهم ليسمعه العالم وإن لم يسمعوا له دوماً. إنهم في معمعة كل قضية مشرقية، وفي صلب كل مسألة إنسانية، ولكنهم فيها، يقون على شيء آخر منها، يتمسكون بالمشتركات تمسكهم بالفراة فيها:

- الموارنة سريان ولكنهم ليسوا يعاقبة،
- هم إنطاكيون لا بيزنطيون،
- هم أراميون لا يونانيون،
- هم خلقيدونيون لا ملكيون،
- هم مشرقيون لا أروام،
- هم كاثوليك لا لاتينيون،
- هم عرب لا مسلمون...

بفرادة هويتهم يواجهون المخاطر، وأهمها خفاشية الأحدنة الأكلة vampirisme الفتاكة والمهلكة. إن أمثلة الأحدنة التسطحية أو الإصطفافية منشورة في بطاح الدول الناطقة بالعربية، وقد بلغ سيلها سفوح جبل لبنان، بدعم من مونوقراطيات الوهابية والعروبية والبعثية والبنلادينية... فأنبئت تكفيريات محلية، و"حوشت" أصوليات ميرعمة، وهيجت عصبية متشنجة (جدول-٢-)، تصادر الحقيقة، وتأبلس معارضيها، تلاحق التعدديين، وتتعبهم لتعاقبهم بسبب مطالبتهم بحريّة التفكير، وحق المغايرة، فتخونّ الأصوات الراضية وتكم المقاومة اللبنانية، بكل روافدها المتعددة الألوان، تلجم حق المشاركة في إدارة الشأن العام، ترسي النهوقراطية cleptocratie في الإدارة، تشيع "الشعور بالعجز المكتسب" والإنسحابية impuissance apprise، تنفث التسييب الإجتماعي في كل القطاعات anomie sociale، تطبع اللامحاسبات، ترشو المقترعين وتزغل اللوائح، وتفسد الانتخابات، وتعطلها، لتزوير ارادة المواطنين،...

٢- المارونية أفق مقاومة.

وحده، حامل الحرية، يخاف عليها، يعمل لصونها، ويجهد لمقاومة الجلادين، فيحررهم من خناق تسلطاتهم، ويتحرر. أما المستكين إلى متساقطات موائد المونوقراطيات والتيقراطيات، شرقية كانت ام غربية، فهو، يخاف من الحرية، بل يخافها، ويسارع للإجهاز على عشاقها. بإعتمادهم في دمع ودم وماء

الحرية الكيانية التي تعشقوها، يخاطر الموارنة بمواجهة اخطار ثلاث، جرّت عليهم الويل والهول ، ولما نزل تتسبب لهم، بالعذاب والتمويت، هي:

١. **بلادة التعتير.** من الخطر تعشق الحرية في محيط مشرقي، إجتماعي ودولوي Etatique، يعيش حالة إستقالة وإنسحاب من الزمن، ويرتاح على رصيف التاريخ وهو بحالة قيلول، يصعب معها محاولة بعث الحيوية الديمقراطية فيه، مما يغضب سلطاته، ويدفع جماهير أصوليه، للتخريب وللترهيب، كما حدث مثلا، في عزوة الأشرافية، في ٥-٢-٢٠٠٦. إنتقاما لكاريكاتور دانمركي يتناول نبي المسلمين، بل كما أصاب اللبنانيين منذ ١٣-٠٤-١٩٧٥ بهدف إمرار توطين الفلسطيني، وما لا زال ينزل بهم على إمتداد دول المشرق بزريعة "الربيع العربي" وبمسوغ فرض "حكم الشريعة" على يد التكفيريين متعددي الوجوه المقنعة والأسماء السوداء... وماذا عن تعقب المسيحيين وذوي الإرادات الخيرة وخيرة الأحرار من كل دين في تونس وليبيا ومصر وفلسطين وسوريا والعراق، كرمى لبقاء ولهناء دولة إسرائيل بل وبتخطيط تلاعب من صهيونيتها... ومعاينة المعارضين وناشطي حقوق الإنسان في السعودية والإمارات والجزائر...؟ تتهمل المارونية ويغتبط أهلها ومعتنقوا هواجسها، بحراك شعوب الدول المشرقية الناطقة بالعربية الناهدة الى تقرير مصائرنا بحرية وكرامة. لعل علة المارونية التي عللوا النفس الدهرية بإحقاقها مشرقيا، وإعتلوا من وزر الشهادة لها مدى التاريخ، تنجز اليوم، بإتجاه الحرية والتعددية والمساواة، والمشاركة في تحقيق الذات بالتساوي لكل مكونات المجتمع، على المستوى السياسي... لذا، يندفعون تلقائيا لدعم الحراك والتحركات، فكريا وإنسانيا وأديبا، وبهم خشية مريرية من أن تسرق من هذه الشعوب نجاحاتها، ويسلب منها حلمها بالتححرر الحق، لصالح "حكم الشريعة" وما شابها من الفوقيات الأراضية و/أو السماوية...

٢. **غيبوبة التخدير.** من الخطر إشهار الحرية والمناداة بها، لتذهين جموع ذات طابع جماهيري (عشائرية، مناطقية، حزبية، مذهبية، دولية...)، لتصحو الى

واقع شعب حر، في حين تراها كانت إنصاعت لتكليفات الشريعة الدينية، وإستكانت الى حالة جماهير قطعية قانعة وتبعية، تحسن التصفيق أو الرجم، تبعاً لإشارات عناترة السطة وزيранها. تستفيق يوماً على بهورات بلهاء، وتنام دهرأ، على أنغام ترهات جوفاء، تحت سماء الشرق وصنمية معبوداتها.

٣. **عجز التقصير.** من الخطر الترسل بالحرية، مقياسا ومراقبة وغاية قيمة سامية، ودعوة الناس، بموجبها، الى فك خناق العجز المكتسب، ودك جدران سجن، أعده لهم جلاودهم، وكسر قمم التدجين الديني والسياسي، وهتك القدر والمكتوب، في لبنان ودول المشرق، ليتمكن الإنسان المواطن من تقرير مصيره وصنع تاريخه، كذات حر سيد ممسأل، على مستوى الفرد، وكشعب راشد مدرك مشارك، على مستوى الجماعة

الموارنة هم أهل تمرد وعصيان. هكذا هم، أو هكذا يطالعون مسار تاريخهم الطويل، على ضوء مثالهم الأعلى المنشود أو المتصور الموهوم. أنهم جماعة مقاومة لأنهم أبناء الحرية. لم ينجح أحد في الهيمنة على مقدراتهم، إلا باستعماله قوة الفتك والإفناء و/ أو قوة الإغراء والدهاء، فدام تفوقه فترة ثم أنحل وقل. دفع الموارنة، في كل جيل، ضريبة عشقهم الحرية، عرفا ودمعاً ودماً. هي حرية، قاوموا عناصر الطبيعة وعداية الأقربين، من أجل أن يعيشوا بها، يعيشونها ويشهدوا لها، في "عراء" قمم جرد لبنان. يكفي لذلك، ذكر إستشهاد بطريركهم، مار جبرائيل الحجولاوي (١٣٥٧-١٣٦٧)، الذي إفتدى أربعين رهينة إحتجزهم المماليك، ليمسكوا به. أسلم نفسه بدلا عنهم (يو ٩/١٨). فإقتيد وأحرق على الخازوق في طيلان طرابلس، يوم الأول من نيسان ١٣٦٧، في المحلة المعروفة الى اليوم، بمقام الشيخ مسعود. [من المؤسف أن لا يكون لمار جبرائيل، البطريرك الماروني الشهيد، لا تمثال ولا نافور ولا مذبح ولا كنيسة على إسمه، في لبنان أو في العالم. أيستحيل التعويض عن هذا الإهمال المتماذي، طيلة سبعة قرون، بإنشاء معبد له، يبرز بطولة شهادته، ويذهن الناس بها، في إثر المئوية السادسة عشرة لوفاة مار مارون ٢٠١٠؟!]. ومثله يتوجب النظر في

بطولة حياة البطريرك لوقا البهراي (١٢٨٣)... ليست المارونية وفقاً على موارد المنشأ أو المعتقد، شأنهم في ذلك شأن الحرية وعشاقها تحت كل سماء. فمن يحمل شعار هذه، ينتسب إلى تلك، ويعبر عن ذلك بالتدبير والتقدير.

١,٢ - حرية التدبير: حق التجمع.

بالأمس، يوم شجر المقام الأنطاكي، تنادى بنو بيت مارون، سنة ٦٨٥، وانتخبوا من بينهم من أقاموه بطريركاً لهم، عملاً بشرعية استمدوها من ممارسة إرادتهم الحرّة، لا من فرمان تمليه عليهم أو تجيزه لهم، أوامر بيزنطية أو أموية بالأمس، سورية أو أردنية أو عراقية ومصرية اليوم، لشرعنة إنتخاب البطاركة في بلدانهم هناك... مؤكدين بأن حق التجمع والتنظيم والحكم، ينبع من الشعب، لا من إملات الإرادات الإقليمية أو الدولية. لذا رفضوا إنعامات السلطان العثماني وإمتيازات فرمانه الشاهنشاه، حرصاً على ألا يرهنوا له خياراتهم السيديّة. في الأزمنة الحديثة حمل البطريرك عريضة (١٩٣٢-١٩٥٥) رغبة مواطنة، لإقامة نظام دولة لبنان. ومثله اليوم، يتطلّع الموارنة، إلى اعتماد نظام حكم، ديموقراطي تشاركي، يتشاركون مع مواطنيهم، الأحرار والأخيار، في وضعه وتطويره بحرية، وإدارة شؤونهم الوطنية معاً، بأنفسهم. بمسوخ من عقيدتهم الخلفيدونية، ومن معاناتهم التاريخية، إستخلص الموارنة، قولة "الوحدة في التعددية، والمساواة في المغايرة": إعتنقوا الإيمان المسيحي وتعشقوا أشخاص الثالث، على المستوى الديني، ومثله، على المستوى المجتمعي، التزموا القيم، وتعاهدوا مع مواطنيهم، وأرتبطوا بأرضهم، في عملية قران أدبي مثلث الأضلع، هي أشبه "بزواج ماروني" لا ينفصم، يحتكم الى مقولة "السير معاً باتجاه واحد، وصنع مصير وطني وحضاري مشترك"

٢,٢ - حرية التقرير: حق المشرعة.

باسم الحرية وبمقتضاها ، تقاوم المارونية أي حكم يبغى التسلط على شعبها، كذا بالأمس قاوم الرهبان تسلط بيزنطية، وناهض المردة الأمويين (٧٢٠)، وعصت المنيطرة العباسيين (٧٥٩)، والجبّة قاومت المماليك (١٢٦٨)، وانتفض فخر الدين ضد العثمانيين، وتمردّ كرم على المتصرفية (١٨٢٣-١٨٢٣)

(١٨٨٩)، وثار شاهين ضدّ الإقطاعيين، وواجهت عين إبل الوهابية (١٩٢٢)، ونازع عريضة الانتداب، ومثله، في النصف الثاني من القرن العشرين، ناهضت المقاومة اللبنانية، بكل فصائلها وتنظيماتها ومقاوميتها، ومن كل المناطق والمذاهب والتوجهات، تسلطات الفلستيني وأعوانه عليهم، وسطوة الاحتلال الإسرائيلي والسوري وواجهاته... يرفض الموارنة أن يُمشّر لهم سواهم. إنهم قادرون على المشرعة لأنفسهم بأنفسهم، وعلى كافة المستويات. ولكن الموارنة، ومثلهم سائر مواطنيهم، لم يكونوا دوماً، على قدر ما تجتذبهم إليه متطلبات الحرية. غالباً ما يجتمعون ولا يحسنون، لا المشرعة الصحيحة ولا توزع الأدوار فيها، ولا إتقان العمل بخارطة طريق إرتسموها فارتضوها... وبذلك يهدرون الجهد والوقت والمال، وتضيع عليهم روائع تضحياتهم سدىً، وتغيب بطولات ترسلهم، دون طائل... لكونهم يأنفون النقية والباطنية، لا يماري الموارنة الاقحاح، أيّ تسلط عليهم ولا يمالئون. قد يقوى المحتل على قهرهم، ولكنه لا يقوى على أخذ تواقيع موافقتهم على احتلاله، عدا بعض منهم، يتشرفون في لعبة الخوف والكيدية، وفي الواقعية السياسية الممرغة بشهوة المال والسطوة، فيتيهون.

٣- المارونية: مطمح مشاركة.

ما من يدّعي اعتناق الحرية، فيصادر لها لنفسه ولجماعته ويمنعها سواه، ويكون كلامه صادقاً. وما من يزعم اعتمادها في المساحة الخاصة دون العامة، وتكون الحرية، هي ما يتحدّث عنها. ان المشاركة (وكل روافدها ومشتقاتها من: اشتراك، اشراك، شراكة، تبادل، تحاور، تحالف، تفاهم، تقاسم، تداول، تعاون، توافق، توائف، تضامن، تعاطف، تأخي، تساوي، تخادم، تراحم، ...) هي الترجمة العملية لمبدأ الحرية المسؤولة، المعبر عنها: بالعدالة، بالمساواة وبالمتبادلية réciprocité وبالمساءلة responsabilisation (متى 12/7)، تلك القيم الكبرى المعبرة عن سيادة الإنسان، المنفتحة على العلمانية، والساعية الى تأسيسها بأدوات الديمقراطية [راجع "العلمانية دعوة تسييد الإنسان. مجلة المشرق ٢٠١٠ ص. ٥٥١-٥٩٢].

١,٣ - حرّية التطوير: نظام الشراكة.

ناهض المواردنة منطق السخرة، ونظام الرق والعبودية، المتبع في الاستبداد الشرقي (انظر جدول -٦-)، فطوّروا علاقات الإنتاج عندهم، طبّق منطق الشراكة، وبموجب نظام الأجر و"الكرّي"، ووفق قاعدة تملّك الأرض والعقارات بالشراء لا بالانتزاع، بالتراضي لا بالبص، بالجهد لا بالفتح، بالكسب لا بالتزوير. منطق شراكتهم الاجتماع- اقتصادية، ومنطوق عامياتهم الاجتماع- سياسية، بما فيها من منطقات ديموقراطية استباقية في الزمن، هو امتداد منطق تعدديتهم، وتعدديتهم هي الترجمة الاجتماعية لمضمون ايمانهم الثالوثي الديني، الممهور بالحرية.

جدول -٦- مقارنة أنظمة الحرية والاستبداد بحسب محاور المعاملات الاجتماعية

البيئة الخصائص	ديموقراطية جبل لبنان	مونوقراطية بوادي الشرق
صورة الإنسان	- قيمة وكرامة لذاته - أهمية بذاته - مواطن، شريك	- قيمة وهيبة لجماعته - أهمية لربعه - رعايا، عبد السلطان
منزلة الأرض	- ملكية خاصة - ملك فردي، إرث - الأرض قيمة، وطن	- ملكية هاميون - ملك السلطان، اقطاع - الأرض سلعة، موطن
تعامل اقتصادي	- منطق الشراكة - نظام الأجر، الكري - تملّك الأرض بالشراء	- منطق السخرة - نظام الرق، العبيد - انتزاع بالقوة، التوسع
تعامل اجتماعي	- نسق التبرع الاكتتاب - اتباع العونة - نظام التضامن	- نسق الخراج الجزية - اتباع الخوة - نظام الغزو السطو.
تعامل أمّني	- قاعدة طرح الصوت - تطوع ذاتي - فعل دفاع ومقاومة	- قاعدة التجنيد، العسكرية - تطوع مرتزقة - فعل فتح واحتلال

تعامل سياسي	- مبدأ اختيار وانتخاب - نظام العامية والشعبية - نهج الاستفتاء والالتزام	- مبدأ توارث وبكورية - نظام اقطاعية وزبائية - نهج الأمر والإلزام.
-------------	---	---

لا ارقاء ولا عبيد للدير مثلاً، بل له شركاء ومكاريون يعملون لديه ومعه، ومثله، لدى كبار المالكين الدروز، مواطنيهم في جبل لبنان. إتبع الموارنة نظام التبرع «بالمعاليم» و«بالنورية» التي استمر العمل بها في بلدة عمشيت حتى الأمس القريب، إعتمدوا منطق العونة والتضامن، والنخوة، به يناقضون نظام أخوة والغزو والاحتلال. أما على المستوى الدفاعي، فطوروا نظام التطوع الحر، وقاعدة "طرح الصوت"، و "عمل الكوشه" وإقامة "المعقودة"، للزود عن مقدساتهم، المادية والروحية والثقافية، في الملمات [راجع "الخدمة الإجتماعية لدى الموارنة". المشرق ٢٠١١. ص. ٣٤٩-٣٧٣]. كذا تكوكبوا مع شركائهم، في إمارة جبل لبنان، حول فخر الدين، ابان معركة عنجر، بالأمس. ومثله البارحة، تجمعوا مع مواطنيهم في الجمهورية اللبنانية، لمواجهة الطامعين بوطنهم وبمؤسساته، بالرغم من ان المتشبهونين على المال والسلطة، من كل طوائف اللبنانيين، الذين اصطنعوا من أنفسهم، حربائيات مدّاحي قوى الاحتلالات «الاخوية أو العدو»، والبسوا قادة هؤلاء، أجنحة «الملاك الحارس»، وعمامة «الأخ أبو الإعمار وابو الفوارس»، وخلصوا عليه وشاح «الفدائي المغوار»، او عباءة "الشقيق الباسل"

٢,٣ - حرية التحرير: نظام العامية

باسم الحرية والكرامة والسيادة، رفض الموارنة مبدأ التوارث ونظام البكورية، قاعدة لتداول السلطة. فناهضوا الاقطاعية وأدانوا الزبائية ورفضوا المحسوبية، سبيلاً للتعامل السياسي. إعتمدوا مبدأ الاختيار والانتخاب الحر، على المستوى الكنسي، في أنتخاب رؤسائهم في الأديار أو إنتخاب بطريركهم (يتم الإنتخاب الديرى، بوضع حبة قمح أو حبة شعير ترميزا إلى "نعم" أو إلى "لا"، لفلان). إستنبطوا مبدأ العامية الشعبية، على المستوى المدني الوطني، يجتمعون فيها مع مواطنيهم، بحالة جهوزية عملية، ومساواة بين الأفراد، وتكافوء ما بين

الجماعات، في لحدف(١٨٣٢) وإنطلياس (١٨٤٠)... [يتم الإنتخاب إما بوضع ورقة في صندوق الإقتراع، وإما برفع الأيدي، وإما بالمناداة..]. إن عمليات الإنتخاب والعامية هذه هي الترجمة المباشرة لأليات الممارسة الديمقراطية، المشدودة الى قاعدة الإقرار بالحرية الشخصية والقرار الحر، وبسيديية الإنسان الذات الفرد، وبسيادة الشعب. وحدهم سكان جبل لبنان مارسوا العاميات دون سائر بلدان ومجتمعات المشرق. لأنهم أوئل سكان جبال الأرز ورثة الكنعانيين الفينيقيين، فقد أوسعوا للوافدين تباعاً الى جيرتهم، مكاناً لهم مرحباً بهم، في فضاء قلوبهم وفي مدى سكناهم: منذ سنة بني سفيان في القرن السابع، وشيعة آل البيت في الثامن، ودرور حمزة في العاشر، الى آخر الوافدين في القرن العشرين من ارمن واشوريين (في مطلع القرن العشرين) ومن اكراد وفلسطينيين (في منتصفه)، ومن عراقيين وسوريين في نهايته وبداية القرن الواحد والعشرين). إستمروا في جبال لبنان العالية، يسكنون بعيدا نسبياً عن يد السلطات الحاكمة وعن متناول زندها الأكل، ولم يهبطوا الى سكنى الساحل، جدياً، الأ في أوائل القرن العشرين بعدما إستوثقوا مواطنيهم، ووثقوا معهم بسيادة لبنانهم الجامع لتضحيات كل أبنائه التاريخية، وتوثقوا في الحفاظ على الميثاق الوطني... وحدهم كانوا الشواذ عن قاعدة التجانس الشعبي الماحق في دول المشرق homogénéité، بل كانوا الشذوذ فيه، منذ قيام سلطة سرجون الأكادي [القرن الخامس والعشرين ق.م.] الى اليوم، لكونهم توثقوا وتوافقوا، مع إخوانهم الدرور في جبل لبنان على بناء أمانة إجتماعية- سياسية، بقيادة الأمير فخر الدين المعني، محققين بذلك أول تشارك تام، بين قومين ودينين مختلفين، بمساواة كلية، وفي ذلك معجزة مجتمعية، تبلغ حد الإعجاز السياسي في منظومات المشرق التنظيمية... وحدهم في لبنان اليوم، كما في البلدان المجاورة، يشتركون مع مواطنيهم، من كل الطوائف والمذاهب، في سكنى قرى مشتركة، بنسب عالية، لا تجاريهم فيها بمثله، أية مذاهب أخرى، تتساكن فيما بينها في قرى مختلطة. لعل عشقهم التساكن الثقافي المختلط، وإرتياحهم الإنساني الإحترامي الى العيش معا مع جماعات مغايرة عنهم [مذهب، عقيدة، نظم أخلاق، خيار سياسي...]، إن هو إلا التطبيق العملي، لمثال "الحياة معا" التي الفوها وأجلوها في أنموذج الحياة

الديرية في قنوبين ومغاورها [قنوبين لفظة يونانية مركبة تعني koinos اي معاً، biosاي الحياة. ومنها cenobite اي راهب(ة) ديري، يقابله في المعية الديرية calybite اي الراهب الساكن في مغارة حول الدير، كما هي حال مغاور نساك دير قنوبين] ... بمقدار ما يتحالف الموارد مع رافضين مثلهم، بمقدار ذلك ينجحون في مساعهم لتحرير وطنهم من الإحتلالات، ولاستقدام خيور المستقبلات، برافعة الحداثة. تلك هي القاعدة الإجتماع سياسية الذهبية، المستخلصة عن امثولات تاريخ الموارد.

٤- المارونية، فعل اعتراض

الحرية طاقة ديناميّة، يتحرّق صاحبها للترقي بها، فردياً وجمعياً، نحو الأسمى. فيحلم، ويتحرك باتجاه تحقيق حلمه. يشكل النقد أداة الاقلاع عن الاتباع، وتسريع سبيل الابداع، والتجروء على المستحيل بإستخدامه من رحم المستقبلات. أما مقولة: «لَمْ لا يكون الأمر على غير ما هو عليه»؟ فتشكل رافعة التجديد والتغيير، تجديداً يطال كل شرع وقانون أو تقليد، لاستبداله بمعايير normes جديدة، تكون أكثر صفاء ونقاء لتحقيق القيم valeurs والتعبير عنها بشفافية. المارونية هي أصلاً فعل إعتراض روحي، قام به الناسك مارون، على سهولة العيش والرخاء، وفي أثره سار الرهبان والراهبات وتبعهم الشعب، يطلبون الشهادة للحرية في الهواء الطلق: هذا يطلبها في صومعته، وتلك في ديرها، وهؤلاء في بيوتهم وحقولهم وأولئك في محترفاتهم ومتاجرهم، ويشترك الكل في الإعتراض إياه، على كل إساءة الى كرامة الكائن البشري، وعلى كل تفاهة تجاه الحق والعدل والخير. كذا مثلاً، إعتصم الرهبان والراهبات، ليل نهار، طيلة ٣٦ يوماً، في "العراء"، على قارعة الطريق المؤدي إلى قصر رئاسة الجمهورية في بعبدا، إحتجاجاً على حصار الجيش السوري مدينة زحلة، وقصفه المستمر والمدمر لها، في صيف سنة ١٩٨١، وكذا تعلق الناس حول كمال جنلاط في موقفه الرفضي ١٩٧٤، وحول الإمام موسى الصدر في ممانعته الاجتماعية ١٩٧٩، وتكوكبوا حول قيادات الجبهة اللبنانية في رفضها التدخلات الشقيقة ١٩٧٧، وتجمعوا حول بشير الجميل في القوات اللبنانية لمناهضة التمدد

الفلسطيني ١٩٨٠، وعانقوا طروحات ميشال عون في قصر الشعب ١٩٨٩ لإنقشاع مقومات القضية اللبنانية والتذهين بقيم المقاومة اللبنانية الجامعة، في عملية وطنية أفقها التحرر الداخلي من المفسدين والتحرير من احتلالات الخارج، وتعاونوا في ٢٠٠٠ لإنكفاء الإحتلال الإسرائيلي، وتجمهروا في ربيع ٢٠٠٥ لجلاء قوى الإحتلال السوري، وتلاحموا لصد عدوان الإسرائيلي في ٢٠٠٦، وتضامنوا في ٢٠١٣ لمواجهة تفجيرات التكفيريين الفتوية...

١،٤ - حرية التنظير: حق النقد

وثق الموارنة بتواضع، من أنفسهم، وحرصوا بأبأء على كرامة الانسان، واستلهموا شعلة الحرية المتلازمة مع سيّدية الإنسان. فرفضوا بموجبها جمود ما هو متبع، واعملوا فيه نقدًا وتصويبيًا، بل تحسينا وتجديدا، كما في العبادات الدينية البيعية، كذلك في المعاملات المدنية الزمنية... ذلك كان موقف بطرس البستاني، وفارس الشدياق... وبعضهم، تعاطى النقد الذاتي، بما يقتضيه شغف الحقيقة ونبل الفكر وإحترامية الآخرين: ذلك كان نهج جبران خليل جبران، وأمين الريحاني، ومي زيادة، وخليل سركيس، ومارون عبود وعشرات المفكرين، والمنظرين والأدباء، مثقفو ومتفكرو intellectuels "وأنبياء" المجتمع المدني والكنسي، بالأمس واليوم، أمثال، لويس خليفة، وعمانويل خوري، ويواكيم مبارك، وميشال الحايك وسواهم اليوم وكل يوم. إنهم مخاطرون سباقون في كل أمر جليل. فمتى تسامح معهم مضطهدوهم وعفّ عنهم متعقبوهم، طلبوا هم أنفسهم الترقى الروحي بالإستشهاد الإيماني عبر التقشف في المناسك، وتطلبوا التجرد والتعفف في الأديرة والصوامع، أو طالبوا بصدقية الألتزام في يوميات حياتهم عبر المساءلة والممسألة والنقد الذاتي، يتناولون فيها أمور الدين وشؤون الدنيا. مقصدهم من عرض واقعهم ومن إستعراض مسارهم، ومن التعرض لهذا وذلك بالنقد والمراجعة، هو إبقاء الذاكرة التاريخية حية، بعد تطهير جدي لها من روايات تحريفية أو تحريفية اصابتها. بالمقابل يصعب على أهل المشرق ومثقفيه إبداء موقف ناقد لممارسات أصحاب السلطة عندهم، بل وقد يستحيل عليهم الأمر. السطة هنا تحصي على اصحاب الراي أنفاسهم، ببرهان ضيق زناناتها

عن إستيعاب سجناء الرأيء عندها. أما متفكروا الموارد فإن نقدياتهم تصيب أولاً أهل البيت واصحاب الدار فيها، وبخاصة رؤوس الهرم الكنسي والتنظيم المدني، بهدف تصويب المسار وبوصلة الصيرورة وكشف المصير. قيل "ان الموارد لا يتفقون" ، وإعتبر القول هذا حكماً ثابتاً مبرماً، يجرم الموارد بمشاحناتهم، ويعيب عليهم "نقاراتهم" الصببانية ، ويستسخر مسالك فضهم نزاعاتهم. والحال إن تفسير القول الماثور هنا على هذا النحو، يشي بسوء فهم فاضح مغرض مشبوه. الصحيح أن القولة في السربانية مورونوبيه لو مطقسيه، تعني ان الموارد يتفقون ويتوافقون، ولكنهم لا ينتظمون في صف ترتيبي ولا يصطفون في خط مخطط. لا يتبعون أحداً، ولا يسيرون خلف احد. يسيرون سوية سينودسا واحداً، أي إنه يطيب لهم السير معا بإتجاه واحد لا بصف واحد، تماماً كما قطع المعزة، [الذي ألقوه في حياتهم الجبلية]، يسير بإتجاه واحد حتى في اصعب معاير الجبال وعورة، على عكس مسيرة قطع أغنام وانعام السهل، وبخلاف قوافل الإبل في إسرائها في البوادي. لم يسر الموارد يوماً صفا واحداً. ومن المرجح أن لا يسيروا يوماً في صف واحد، لا لشيء سوى لتشبعهم من الحرية والتعددية، وإن لم يحسنوا ادارة هذه وتلك، على نحو ديموقراطي كافٍ. لئن عبّر هذا السير عن مدى إستماتة الموارد للحفاظ عليه، فإن ما إرتضاه الموارد لذواتهم، يصرون على حسن التعامل مع مواطنيهم بمقتضاه، اي السير معا بإتجاه واحد، بندية مساواة، وتشاركية حاكمية، وتوافقية وجهة، وتفاهمية إجرائيات، مع تعددية اراء وتنوع استحسنات، وإختلاف إجرائيات، ومغايرة تدبيرات، تبقى كلها مشدودة الى القيم العليا في الخيارات الوطنية الجامعة، أو أقله هكذا تطيب لهم، وكذا يتوجب أن تكون...

٤، ٢- حرية التغيير: حق الابداع

يساهم الناقد في تغيير الواقع المشكو منه، بمجرد تذهين الناس بموطى نقده، ويبلغ أقصى مهمته، إن استطاع ابداع بدائل تطبيقية لذلك الواقع المشكو منه او الذي ينتقده. ان مجرد تذهين الناس، هو هو فعل شحهم بالمناعة وبالمنعة، وفعل تمكينهم من المقاومة الادبية المبتغاة. تشكل أفعال التذهين والمناعة

والمقاومة، رافعة تحويل الناس من حالة جماهير منقادة، الى حالة شعب سيد ... لقد مارس الموازنة حرية التغيير، وما يزالون، يمارسون النقد الذاتي، والحلم بشكليات متجددة باستمرار، عبر كتابات مفكرهم، ومجامع أبحارهم، لا بل نجحوا على الدوام، في هيكلة قوة الاعتراض، وتوظيف اندفاع التطلُّب لديهم، في إجتماعات ديريّة، وخلوات رهبانيّة ومجامع بطريركية، ومننديات إجتماعية سياسية. كما في مؤسسات الرياضات الروحية، الرعائية والفريقية، والحركات الرسولية... القائمة كلها، على فعل «الميطانية» أي الارتداد الجواني المتمثل بثلاث:

- ١- العودة إلى الذات، إلى الجذور، وفي ذلك فعل أصالة لا هوس أصولية رعناء
- ٢- إعادة النظر في الواقع وتقويمه، وفي ذلك فعل نقد موضوعي لا جلدٌ للذات
- ٣- المشرعة والسعي لتاوين القيم actualiser ولتحقيق الأهداف، لا تكرار إجترار

تلك كانت مسيرة السينودس في تسعينات القرن الماضي، وهذا هو مسار المجمع البطريركي في بدايات القرن الواحد والعشرين اليوم، والسينودسات الأقليمية والمحلية...

٥- كرامة الانسان، قيامته بالحب والحرية والسلام

بالحرية تكين الموازنة وتكونوا. لقد تمثلوا الحرية، فأصبحوا قياميين، يجتمعون للصلاة وقوفا في حضرة الحب المتأنس يسوع، أو يقيمون "المطانية" إرتداداً الى جوانيات دفع الروح، عطية الأب لهم وللعالم. لذا لم تركع ركبهم، في عباداتهم كلها، إلا لرفعة القربان، ولم يركعوا سياسيا لأي من بعاليم العالم. فاجتذبوا إليهم: بأخلاقية الحرية وبأدوات السلام، من كان من غير متحدهم، كأمرآء آل شهاب، وحرفوش، وعساف، وأبي اللع وسواهم، أفراداً وجماعات (يو ١٦/١٠). بالحرية والمحبة، لا زالوا يجهدون، مع مواطنيهم في لبنان واخوانهم في أرض الشرق، للبناء وللارتقاء، وإلا زالوا من الفعل الحضاري. هويتهم انهم ابطال محضرون héros civilisateurs، ورسالتهم انهم ابطال

مؤسسون *héros fondateurs*، وقد اثبتوا بدرجة عالية، ميزتهم في هذه وامتيازهم في تلك...

تلك هي سيرة الموارنة في وجهها المشرق. أما في الوجه المظلم منها، فقد تهاوى عدد منهم: في الجبانة أو الإغترار كبطرس (لو ٢٣/٥٥)، والخيانة أو التعنتر كيوضاس (لو ٢٣/٣٧)، وفي الهلع والإرتعاب كالتلاميذ (مر ١٤/٥١)، وتلوع البكآت (لو ٢٨، ٢٣)، وغلاظة الجند (متى ٢٧/٢٨)، وانحراف الحرس (يو ١٨/٢٣)، وتآمر الأبحار والزعماء (مر ١١/١٥)، وتواطؤ الحاكم (مر ١٥/١٥)، وجهالة الجماهير (لو ٢٣/٢١)... هؤلاء أساءوا كلهم، بشكل أو بآخر، إلى المارونية إساءات خمس أساسية:

١. ادغام المارونية (الوجه الثقافي السياسي)، بالمورانية (الوجه الإيماني الديني).

٢. إغفال مناهل قيم المارونية، والانتقطاع عنها، او تسليعها وإستصغارها.

٣. التذرع بالمارونية وادوتها *instrumentaliser* لتغطية سوء تصرفات المتذرع،

٤. إسقاط الروح الرسولية عن المارونية، بتحوّل جسمها الحي إلى جثمان مُرّوح.

٥. تفويت فرصة إضاءة طريق الحرية الشخصية الكيانية المُمسّلة، أمام كل من مات من أجلهم يسوع وقام، في مجتمعات المشرق.

من أمات في نفسه عنفوان كرامة الانسان، وركع أمام المعبودات ليملك وليمتلك (متى ٩/٤)، مات في عتمة الفناء. ولكن من عانق الحرية، إذ يعشق الانسان الكامل يسوع المحرر (يو ٨/٣٢)، فاضت فيه الحياة (يو ١٠/١٠)، وأتى بثمار كثيرة (يو ١٥/٥)، فهذا، وإن مات، فسوف يحيا (يو ١١/٢٥). تلك هي سيرة عشاق الحرية ومسيرة شهادة محبتهم، على الصعيد الاجتماع- السياسي والاجتماع- الديني.

١ - صعيد الاجتماع - السياسي: تحقيق الذات معاً

شغف الموارد بالحرية، هو شغفهم بمعنى وجودهم الثقافي. باسمها لاقوا، اخواناً لهم انتبذتهم عصبية المشرق وأصولياته الخائفة... فتحول الكل مغرماً بالحرية عاشقاً فعلها المزخّر بمناعة المقاومة، في لبنان، وان بدرجات متباينة. حمل الموارد، مع ذوي الارادات الطيبة، ريادة الدفاع عن حقوق الانسان، وهمهم السعي مع مواطنهم في ترجمة شرعة حقوق الانسان إلى ثقافة ديموقراطية، وترجمة ممارسة الحرية إلى نظم ديموقراطية، مشدود الى فضاء العلمانية الإحترامية، في لبنان، ومنه إلى المجتمعات المجاورة، من أجل تحقيق الذات معاً على المستوى السياسي. إن في رغبة الشعوب التي تعاني من ظلمة الظلم، قوة دفع الى التحرر الإنساني، يعصى اواليات القمع والتلاعب manipulation والتهويل. تستمد الشعوب من الحرية الكيانية ومن وعي قيمة الكرامة الشخصية، وأهمية حقوق الإنسان، فائضاً من الطاقة، تندفع بموجبه الى تسييد ذاتها في قرارها الحر وتقرير مصيرها. هذا ما يفسر حراك شعوب الدول المشرقية، بمناهضتها أنظمة القهر والفوقية، لا لتستبدلها بأنظمة "حكم الشريعة" بل سعياً الى إقامة الديموقراطية ذي الوجه الإنساني.

٢ - صعيد الاجتماع - الديني: تخطي الذات

تتصف المارونية بالتعمق لا بالتوسع. بالحب عاش أنقياء الموارد، اكليساً وعلمايين. وللحب شهدوا في مناسكهم وأديرتهم، كما في حقولهم وديارهم. عبّروا عن المحبة بالبذل والمصالحة، بالتفاهم والتوافق، وبها بلغوا القداسة، ورفع بعضهم على المذابح، امثال شربل، ورفقا، والحرديني، وقریباً يعقوب الكبوشي واسطفان الدويهي، واسطفان نعمة... وبدافع الحب إياه، اندفع أتقياء الموارد وأنبيأؤهم، بروح الخدمة والأخوة، إلى توحيد قميص انطاكية الممزق منذ خلقونيا، في وحدة مسكونية كنسية، فيها، لا تحقق كل الكنائس ذاتها معاً، وحسب، بل تتخطى كلٌ منها ذاتها، باتجاه يسوع القائم من الموت الذي وعد بأنه. "إذا ارتفع، جذب اليه كل احد". يمكن النفاذ الى قانون إجتماعي يندرج على مستويين:

المستوى المسكوني

بقدر ما ترنو الكنائس إلى يسوع وإلى قيم إنجيله، وترتفع صوبه، بقدر ذلك تتقلص المسافات الفاصلة بينها. فتسقط جدران الخصامات، ويتوحد الجميع في الاب بابنه يسوع. إن كرامة الانسان قيامته. ولا قيامة إلا بالحب الخالص

المستوى الوطني

بمقدار ما ترفع مكونات المجتمع اللبناني، الحرية الكيانية ومفاعيلها القيمية، معلماً لها ومنازة، وبمقدار ما يترجم اللبنانيون الحرية، الى مشاركة ديموقراطية، من أجل تحقيق ذواتهم معاً على المستوى السياسي، بمقدار ذلك، يقوم لبنان الرسالة، بل يقوم اللبنانيون بحمل الرسالة بفرح، ويتحصنون بمناعة الحرية. ولا قيامة حقة للبنان ولبنيه، ولا رسالة إنسانية مُحضّرة، تتم بنجاح على يدهم، لخيرهم، ولخير المشرق والعالم، خارج أخلاقية الحرية، وأدوات السلام.